



الوحي يتنزّل على الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم - بأمر الله، أن قد حان الرحيل والهجرة لحوقاً بأصحابه وأتباعه من المهاجرين والأنصار، ويعلمه أن قريشاً تاتمر به لقتله أو توثقه أو تخرجه، ويستقرّ رأي فراعنة الجahلية، على قتله - صلى الله عليه وسلم -، وتفريق دمه الشّريف بين القبائل، {ويمكرون ويمكرون والله خير الماكرين}.

وفي حين استحكمت خطة قريش وغدت قاب قوسين أو أدنى من التنفيذ، أمر الله رسوله بالهجرة إلى يثرب، والنبي يستعد لتلك الرحلة منذ حين، وهو يعرف أنها كائنة لامحالة، والصديق يطمع في الصحابة المشرفة، ويأملها وقد استأنذ النبي بالهجرة يوما فلم يأذن له قائلًا {لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا} فيرجو أن يكون صاحب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في هجرته، ولا يستبق أمر خليله فيها، وهو بين الأمل والرجاء، يعد الرواحل والمال والزاد، وقلبه واجف خيفة ألا ينال صحبة نبيه في تلك الرحلة المحفوفة بالخطر والمشقة، ويود أن يكون معه ليفتديه ويخدمه وينال شرف صحبته. والوحى يتنزّل على محمد الأمين ألا تبكي على فراشك الليلة، والأمين لديه أموال قريش وودائعهم، وهم رغم عداوتهم له يأتمنوه على نفائسهم، ويأمر النبي علياً أن يتخلّف عنه ليؤدي الأمانات إلى أهلهما.

فياتحف ببردة النبي الطاهرة وينام على فراشه، ويبيع نفسه رخيصة في سبيل الله، فيا ويح العقول الصدّئة الصادفة عن الحق الجلي والنور المبين، أو مارضوا حتى أخرجوه نبيهم من بيته ووطنه، وهجّروه في منافي الأرض أن يقول ربي الله، ولكنّه ماض إلى بيت صديقه الصديق في هجير الظهيرة ليخبره {إن الله قد أذن لي بالهجرة} والصديق بلهفة الراجي يهتف الصحابة يارسول الله، فيقول -صلى الله عليه وسلم- الصحابة، وتنطلق العيون التي طالما ارتقبت هذا الرضى تهل دموع الرضى، والفرح.

يكفيه انه صاحب محمد خليله في هجرته إلى يثرب، وأنه رفيقه في انطلاقه الهدى إلى ديار أدن الله أن تكون حصن الإسلام ودرع رسوله - صلى الله عليه وسلم -.

وعلى باب بيت نبى الله تقدى الرّجال الجلد، وبأيديهم القواطع لامعات، ينتظرون لحظة ظنّ جبابرة الشرك أنها وشيكه، وأرادها الله لنبيه لحظة نجاة ونصر وتمكين، وأرادها للجهلاء المترغبين لحظة خزي وقهر وانكسار، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم، يستغرق في لحظة مناجاة وحنين، لحظة وداعه لبيت الله وحرمه الآمن، ومهبط الوحي، ميدان دعوته الأول، ويناجي عشيرته المعرضة عن دعوته، وهو على وشك الرحيل، [أما والله لآخر منك، وإنّي لأعلم أنك أحبّ بلاد الله إلى

وأكرمه على الله ولو لا أن أهلك أخرجوني منك ماخترت، يا بني عبد مناف إن كنتم ولاة هذا الأمر من بعدي، فلا تمنعوا طائفا ببيت الله ساعة ما شاء من ليل ولنهار، ولو لا أن تطفي قريش لأخبرتها ما لها عند الله، اللهم إنك أذقت أولهم وبالا فاذق آخرهم نوالا.

ويقف التاريخ عجبا من تلك النفس التي لم يمر على الأرض أطيب منها ولا أرق، ولا أحلى على الإنسانية، قومه يخرجونه من بيته وهو على الحق، وقلبه الحاني يدعو لهم بالهدى والنّوال، فأي قلم يمكنه أن يخطّ مآثر نبي الرحمة الرّؤوف الرّحيم. وانطلق الركب المهاجر في صحرى مكة متخذا غاية الحيطه والحضر متسلحا بالبيتين والثقة والعنابة الربانية، وأبو بكر يمشي مرة خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ومرة أمامه ويفطن النبي إلى ما يفعله صاحبه فيقول: {يا أبا بكر مالك تمشي ساعة بين يدي وساعة خلفي؛ فيقول: يا رسول الله أذكر الطلب فأمشي خلفك ثم أذكر الرصد فأمشي بين يديك، فيقول - صلى الله عليه وسلم - : يا أبا بكر لو كان شيء أحببت أن يكون بك دوني؟

قال نعم والذي بعثك بالحق ما كانت لتكون من ملمة إلا وتكون بي من دونك} تسلق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وصاحب جبل ثور في خطوة تعمية ذكية تقول للأمة أن الإعداد والحيطة جزء لا يتجزأ من مقومات النصر والنجاح، ويدخل الصديق ليسبرئ الغار من الهوام والضواري وأي شيء يمكن أن يؤذي رسول الله، ثم قال إنزل يا رسول الله، فأي حب وود صادق مزج بخالص الإيمان حملته لك القلوب يا رسول الله عليك أطيب الصلاة من الله.

وقريش يجن عاقلها ويستطيعها القهر أن ينجو منها {محمد} يهرب أبو جهل إلى بيت الصديق ليسأل: {أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ فتقول: لا أدرى أين أبي،} وترتفع الكف الآثمة باللطممة المدوية، يفرغ فيها الأشر المافون غيظه وتحتسب أسماء اللطممة في سبيل الله وتمضي وعلى مدار ثلاثة أيام، تحمل الزاد لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأبيها، وتجد نفسها ذات يوم وقد نسيت رباط السفرة، فتشق نطاقيها نصفين تربط بهما سفرة الطعام لهما، فتبشر بنطاقيين في الجنة، وتغدو {ذات النطاقيين}

وتلمست قريش أثر النبي وصاحب حتى بلغت غار ثور، والرسول وصاحب يسمعان ويريان أقدام القوم وما بينهما وبين الخطر إلا أن ينظر أحدهم تحت قدميه، وأبو بكر مشفق على صاحبه الأحب، يقول: {يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لرأينا ويجيبه الرسول الواثق بوعده الله يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما} ويراه النبي - صلى الله عليه وسلم - خائفا عليه محزونا لأجله فيقول له {لا تحزن إن الله معنا} وتبقي هذه الصحبة الصفحة الأروع والأجمل في تاريخ الصديق ويتنزل فيها قرآننا يتلى في كل بقاع الأرض {ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحب لا تحزن إن الله معنا} وتظل منارا تهتدى به قوافل الدعاء إلى منهج الله كلما حاصرتها قوى الطاغوت وتأمرت عليها لكي لا تحزن، تظن أنها على الله هينة وهي بعينه سبحانه وتحن جناح رحمته وتمضي الرحلة بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يسلك طريقا غير مأهول ويعلم سراقة بن مالك بأمرهما ويتبعهما طمعا في تلك الجائزة العظيمة التي بذلتها قريش لمن ياتيها بمحمد وصاحب أحياء أو أموات، ويدنو منها وتسوخ قدمها ناقته أو (فرسه) في الأرض فيناديهما بالأمان، ويقفأ حتى يصل إليهما، وقد عرف أن مهدا رسول الله حقا، ويخبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن قومه قد جعلوا فيه الدية، ويعرض عليهم مامعه من زاد ومتاع فلا يأخذ منه شيئا وطلبها منه أن يخفي أمرهما، وسراقة يرى وجه المصطفى آمنا مطمئنا يحس بالسكينة من حوله ويفاجئه الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأكثر من ذلك {كيف بك يا سراقة إذا لبست سواري كسرى} وسراقة البدوي البسيط يرى في سواري كسرى ملك كسرى فأنى له بهما ولكنه يعلم أن مهدا لا يكذب في قول أو وعد، فيطلب من رسول الله أن يكتب له بالأمان والوعد، فيأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - عامر بن فهيرة فيكتب له الأمان ويعود وقد أدرك أن أمر رسول الله سيظهر لا محالة.

لقد ضاق عةا الجهل بكلمات الحق، وكرهت طوابا الظلام أبعاثة النور وإشراقتها ولو نفرت النفوس المملوهة شركا من

الوحданية الجلية وآثرت أن لا تسمع نداء الحق وأن تستأصل دعاته وتنفيهم من الأرض لو استطاعت ولكنها عميت عن حقيقة القدرة الإلهية والمشيئة الربانية ولم تدر أنَّ محمداً وصحابه سيتمكن لهم في الأرض وأنَّ الله سينصره نصراً مؤزراً

إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْتَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزُنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلْمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلْمَةُ اللَّهِ هِيَ الْأَعْلَى وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {40} سورة التوبة .

المصادر: